الملك امام الصخيرات الثانية

الباهي محمد
أسرار الإنقلاب

□ احداث مثيرة سبقت محاولة اسقاط طائرة الملك
□ أسقطت طائرة "اوفقير" في الربيع ونجا الجنرال باعجوبة؟!

■ الملكان الكاتبان : منكر ونكير اللذان تقول القصص الدينية انهما يحصيان على الانسان حسناته وسيئاته في الحياة الدنيا استعدادا لمحاسبته عنها في الحياة الاخرة، يعرفان الان لماذا وكيف توفي الجنرال محمد اوفقير وزير الدفاع المغربي ·

والله يعرف ، والملك الحسن الثاني يعرف !

حقائق القبور

حمل اوفقير اسراره معه الى قبره ، وقبله انتقل تسعة جنرالات مغاربة ، على رأسهم محمد المدبوح مدير الديوان العسكري ، الى قبورهم بالزاد نفسه ، بعد فشل محاولة الصخيرات ·

يومها قالت المصادر المقربة من القصر ان : « الصخيرات هي حادث طريق بسيط » ووصفت المشاركين فيه بانهم من « العناصر المضللة المخدرة الفاقدة الوعي » ·

وقال الملك الحسن الثاني في تصريح مشهور : « لم اعد أفهم شيئا وانا اليوم ملك اكثر من اي وقت مضى »

خلال عملية الصخيرات وفي الوقت الذي كانت المعارك الطاحنة تدور حول الاركان العامة وبينما كانت اذاعة الرباط تبث البلاغ اليتيم عن سقوط الملكية وقيام النظام الجمهوري ، كان الملك يتصل تلفونيا باوروبا رقم واحد ليعلن انه ما يزال على قيد الحياة ·

هذه المرة مضت ست وثلاثون ساعة دون ان يتحدث الملك في التلفون او الراديو · والبيان الذي اعلن تولي الجنرال ادريس بنعمرو العلمي ، وزارة الدفاع ورئاسة اركان الجيش ، صدر عن مجلس الوزراء · والحكومة تعقد اجتماعاتها تحت رئاسة السيد كريم العمراني · فما هو سر هذا الغموض الذي يكتنف وضع الملك ؟ هل جرح الملك في حادث الطائرة ؟ ام انه بدأ يفهم ؟ ام ان ابتعاده عن المسرح جزء من الاخراج ، يريد بواسطته ان يضفي طابعا دراماتيكيا على ظهوره مجددا فوق الخشبة ؟ وما هو الفهم الذي سيطلع به على الناس ؟

اسئلة تظل معلقة الى ان ينقشع الضباب الذي يلف حاليا العاصمة المغربية ·

مثلما حدث في الصخيرات ، تتوزع كثير من معطيات المشكلة الان بين القبور والزنازن واضبارات التحقيق العسكري· حقائق عديدة سوف تظل في صدور اصحابها المجهولين·

كلهم من منطقة واحدة

مع ذلك ، فان نظرة دقيقة الى تركيب الجيش المغربي ، والادوار التي انيطت به في السنوات الاخيرة ، والعلاقة بينه وبين القصر ، والوضعية العامة للبلاد تمكننا من تلمس ابعاد المحاولة الجديدة وعواقبها القريبة والبعيدة ·

لقد انشىء الجيش الملكي المغربي غداة الاستقلال (١٩٥٦) من وحدات عسكرية كانت تابعة لفرنسا واسبانيا ، ومن بعض مجموعات جيش التحرير · اسندت قيادة القوات الملكية في عهد محمد الخامس الى الامير الحسن (الملك الحالي) الذي اولاها عناية خاصة · وظلت السيطرة في المراتب العليا داخل الجيش لقدماء الهند الصينية (الذين يرمز اليهم اوفقير) وقدماء حرب اسبانيا من رفاق الجنرال فرانكو ، وكان ابرزهم المارشال محمد امزيان ، صهر الجنرال محمد مدبوح ·

أغلبية الجيش تتحدر من اصول جبلية وريفية وبالتحديد من مناطق الاطلس الكبير والاوسط (قبائل زايان خاصة) ، والريف · ورغم ان عناصر مثقفة من شباب المدن التحقت بالمؤسسة العسكرية في السنوات التالية للاستقلال باعداد متزايدة ، فان السيطرة ظلت للفئات ذات الاصول الاطلسية والريفية المنتمية الى عشائر البربر · وعلى سبيل المثال نذكر انه حتى انقلاب الصخيرات ، كان في الجيش المغربي ثلاثة عشر جنرالا ، عشرة منهم من هذه المناطق ·

اعتبرت التصفية الشاملة التي جرت بعد الصخيرات ، وكأنما هي تصفية لنفوذ هذه المناطق الفقيرة في الدولة المغربية ·· لقد اختل التوازن الدقيق الذي اقامه العرش

يكتب من باريس عن :

ـلاب المغربي

□ اغتالوا مسؤول المخابرات في شرق المغرب فالغى الملك زيارته للمنطقة
□ اكتشاف مخازن سلاح في عدد من المناطق

المغربي ، واصبحت هناك قضية ثأر بينه وبين الارياف الجبلية والبوادي ·

الريف في المغرب منطقة جبلية وعرة وهي التي قاد منها الامير عبد الكريم الخطابي اول حرب عصابات حديثة ضد الاسبان والفرنسيين ، وسكانه مشهورون بالفروسية والشجاعة ، ومشهورون اكثر من ذلك بمعارضتهم للملكية · وكذلك الاطلس الكبير والاوسط ·

وتأخذ محاولة الصخيرات ، وحركة سلاح الطيران في الاسبوع الماضي ، كل معانيها اذا ما اشرت الى ان الضباط الذين اشتركوا في العمليتين ، هم من هذه المناطق ··

قائد قاعدة القنيطرة الجوية ، الذي تزعم العملية ، هو واحد من شباب الريف المثقف ، الذي انتسب الى الجيش بعد الاستقلال ·

بعد سنة من المباحثات

كان الملك محمد الخامس اثناء هذه المرحلة ، قد كلف الفريق اليساري في حزب الاستقلال ، بزعامة عبد الله ابراهيم بتأليف الوزارة ، وقد تكونت بالفعل ، و « غطت » عملية القمع وعندما اكتملت مهمتها ، ابعدت هي الاخرى (عام ١٩٦٠) ليتولى الملك الحكم مع ما تبقى من حزب الاستقلال ·

وكان تأليف وزارة عبد الله ابراهيم استمرارا لخط سياسي بدأه القصر الملكي منذ الايام الاولى للاستقلال لضرب القوى السياسية والاجتماعية بعضها ببعض ، من اجل الانفراد بالسلطة ·

اولا : جرى الاعتماد على المقاومة لضرب حزب الاستقلال·
· ثانيا :جرى الاعتماد على يسار الحزب لضرب يمينه ، اي ضرب الحزب بمجمله ··
ثالثا : اثارة جيش التحرير ضد المقاومة ·
رابعا : الاعتماد على الجيش ضد السياسيين ·
خامسا : الاستناد الى البربر ضد العرب ·

كل واحدة من هذه المراحل تحتاج الى وقفة مطولة ، لفهم الاحداث الجارية ووضعها في مكانها الصحيح من تاريخ المغرب ، وتلمس التطورات التي تنبىء عنها في المستقبل · لكن الذي يهمنا منها هو المرحلة الاخيرة : الاعتماد على العسكر ، وعلى البربر ضد العرب ·

لقد ادت كل المراحل السابقة ، الى قطيعة عميقة وشاملة بين النظام والقوى السياسية والاجتماعية الصاعدة · تبلورت هذه القطيعة في عهد الحسن الثاني ، وتمثلت في محاولة مستميتة منه لخلق طبقة جديدة من كبار الضباط والموظفين والتجار · وقد كانت احداث الدار البيضاء (٢٣ مارس (اذار) ١٩٦٥) ايذانا مدويا بانفصال المدن المغربية عن الملكية ·· وبقي الحكم يعيش على اسطورة ولاء الارياف والبوادي ، الى ان جاءت محاولة انقلاب الصخيرات ، في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٧١ ·

كانت الصخيرات انفجارا من داخل النظام ·

قال الملك الحسن الثاني بعد الصخيرات ، انه « سيغير من اسلوبه في الحكم » · وبدأت المفاوضات مع « الكتلة الوطنية » التي تضم حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية · وبعد ستة شهور من المباحثات اعلن الملك انه كلف السيد كريم العمراني بتأليف الوزارة · ·
وبدا ان الملك لم يغير شيئا من مناهجه كما وعد ·

الثأر للصخيرات

كان المغرب قد تغير كثيرا · لقد تحطم كل شيء في الصخيرات · لم تعد المعارضة مقصورة على الاحزاب والمنظمات النقابية والهيئات الطلابية ، والطبقات المتوسطة في المدن · الجيش اصبح جزءا قويا واساسيا من قوى الرفض الطامحة الى التغيير · اصبح كذلك لاسباب تتصل بالازمة العامة للمجتمع المغربي ، ولاسباب تتصل بوجوده كمؤسسة · وهذا لم يعد سرا ·

العنف الذي اتسمت به المحاولتان الانقلابيتان : محاولة

□ بعد الصخيرات عمل الملك على تخفيف وزن الجيش وتقوية دور الدرك والشرطة واجهزة الامن

الصخيرات وحركة الطيران لا يفسر الا بهذه الازمة العامة · وقد يستغرب الذين لا يعرفون طقوس السلطة في المغرب بعض الظواهر المحيرة في الاحداث · لماذا تتم الامور بهذه الصورة العنيفة ثم تخفق ؟ أليس كل الذين يشاركون في هذه العمليات من المقربين الى السلطات ؟ ماذا يريد كل هؤلاء الضباط المنعمين المرفهين ؟

الملاحظ هو ان حركة الجيش قام بها ضباط متنفذون جدا وقريبون جدا من القصر · وهذه الظاهرة هي استمرار لتقليد قديم في تاريخ المغرب السياسي : كل الملوك العلويين ، باستثناء محمد الخامس ، انتهت عهودهم بثورات بلاط · والعنف الذي يستغربه الناس ، ويستفز بعض المشاعر الرقيقة ، انما هو ترجمة لحالة الخوف واليأس التي تستولي على كل من يريد الاقدام على مواجهة السلطان ·

بالنسبة للاحداث الاخيرة ، يبدو ان هناك دافعا ثاريا لا غبار عليه ·

فالذين انطلقوا من القنيطرة أرادوا ان يثأروا للذين ماتوا في الصخيرات ، العام الماضي ·· وورود اسم العقيد اليوسي يعطي للعملية دلالة خاصة · فهو ، ليس كما قالت الاخبار ، قائد السلاح الجوي ، ولكنه مدير الاستخبارات العسكرية · والسلاح الجوي يعتبر نخبة الجيش المغربي ، وقد اختير افراده بعناية فائقة من ابناء كبار الضباط واقاربهم واغلبهم دربوا في اميركا وفرنسا واسبانيا · واكثريتهم مثل ضباط الاسلحة الاخرى من مناطق الاطلس والريف ·

وكان واضحا لمن يتتبعون تطور الحالة في المغرب ، ان الملك برغم التصفية الشاملة للجيش بعد الصخيرات لم يكن مطمئنا على حياته · كان يتنقل باستمرار ما بين الرباط وفاس ويفران · وكانت تنقلاته تحاط بسرية مطلقة · كان الناس يعرفون ان الملك مسافر من مدينة الى اخرى حينما ترابط قوات من الدرك والشرطة والقوى الاحتياطية والجيش عند مداخل احدى الطرق الرئيسية لتمنع اصحاب السيارات من المرور فيها · وقد اصبح من المألوف عند الذين يسافرون من الدار البيضاء الى الرباط أو العكس ، الذهاب الى مراكز شرطة المرور او مخابرتها بالهاتف لمعرفة اي الطريقين سالكا: الشاطىء ام الداخلي ؟ وتصل الامور احيانا الى درجة ان قوى الامن تسد الطريق الساحلي ، ثم تتركه فجأة الى الداخلي للتمويه ، « ولافساد خطط المخربين »وهناك نكتة قالها منذ بضعة شهور احد ظرفاء مدينة الرباط حينما سأله صحافي اجنبي عن الحالة العامة : « انها تتميز بدخول الملك في معارضة سرية لنظامه ولاحزاب المعارضة » ·

اغتيالات

ان مساعدي الملك الاقربين من كبار الضباط لا يدخلون عليه وهم مسلحون ·· والحرس المكلف بحماية القصر ، حرس بريتوري ، يتألف من الزنوج المتحدرين من انسال العبيد الذين كان جلبهم الملك المنصور الذهبي ، في احدى غزواته لبلاد السودان (مالي حاليا) في القرن السادس عشر · وهؤلاء يعيشون مع عائلاتهم واولادهم ، يتوالدون ويتزاوجون ، في اطار مغلق ، داخل اسوار القصور الموصودة · وقد نصح بعض الاطباء الفرنسيين بالسماح لهم بالزواج من فصائل مختلفة لتجديد دمائهم · ان هذا المجتمع الزنجي هو وحده الذي بقي متمسكا بالملك والملكية وما يزال لدى الحسن الثاني ثقة فيه ·

وذكرت الانباء ان الجيش والدرك والشرطة كانوا في حالة استنفار منذ شهر ، وقالت ان ذلك يعود الى اكتشاف كميات من الاسلحة هربت من الخارج الى المغرب ، ولم تعلن السلطات عن هوية مرسليها ولا الذين وجهت اليهم · والحقيقة انه جرت احداث هامة خلال الاشهر الماضية لم تتكلم عنها اجهزة الاعلام ، لان السلطات المغربية لم ترد اعطاء صورة سيئة عن الوضع ، في وقت كان العاهل يستعد فيه لزيارة فرنسا ، وتنشط فيه اجهزته لخلق احزاب وهيئات جديدة استعدادا للانتخابات المقبلة، ويحاول فيه الرسميون ايهام الرأي العام الداخلي والخارجي بان الامور تسير على احسن ما يرام ، وان الاستقرار يسود المملكة وان المياه قد عادت الى مجراها الطبيعي ·

حدث منذ شهر اغتيال شخص يدعى ابراهيم منادي ، كان قد قام بدور رئيسي في عملية القمع الواسعة ضد مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، والتي ادت الى محاكمة مراكش الشهيرة · وقد اعترف الشخص المذكور بانه مدسوس من طرف الاستخبارات وانه كان يشارك في اجتماع الخلايا والحلقات الحزبية ! وكانت افاداته امام قاضي التحقيق ورئيس محكمة الجنايات الكبرى بعاصمة الجنوب المغربي ، ادلة الاثبات الوحيدة التي حوكم بموجبها حوالي مائتي شخص من قادة ومناضلي القوى الشعبية ·· وقد افرجت عنه السلطات واعطته امتيازات اقتصادية نقلته من وضعه السابق فكانت تصفيته بمثابة انذار لكل الذين يحاولون اقتفاء اثره للاثراء · ومما يعطي لهذه العملية اهمية خاصة انها تمت في قلب قرية « أمزميز » التي يسكنها ابراهيم منادي ، وليس في احدى المدن الرئيسية ·

قبل ذلك باسبوع تمت تصفية مسؤول المخابرات الملكية الخاصة بالمغرب الشرقي في مدينة تاوريرت الواقعة ما بين وجدة وتازة · وقام مجهولون مسلحون بالهجوم على بعض رجال الدرك وجردوهم من اسلحتهم · واعتقلت السلطات عدد من رؤساء العشائر في بركان والناضور ووجدة ووجهت اليهم تهمة حيازة السلاح ، لكنها لم تعثر على شيء عندهم

وكان قد اعلن في نهاية حزيران (يونيو) ان الملك الحسن الثاني سيقوم بزيارة رسمية الى اقليم المغرب الشرقي المتاخم للجزائر في الاسبوع الاول من تموز (يوليو) ، وقيل ان هذه الرحلة ستكون مماثلة لتلك التي قام بها الى منطقة السوس الاقصى بالجنوب ، خلال الربيع الاخير · لكن الرحلة

□ الجيش بعد الصخيرات اصبح جزءا من المقاومة
□ هل يعود الملك لمفاوضة احزاب الكتلة الوطنية ؟؟

ألغيت بدون تفسير ، ويقال ان السبب في الغائها هو اغتيال مدير الاستخبارات والحديث عن اكتشاف اسلحة ومحاولات تمرد لدى الفلاحين في الجبال · وذكر ان الملك كان ينوي اصدار عفو عام بمناسبة عيد الشباب ، لكنه عدل عن قراره هذا بعد اغتيال ابراهيم منادى ··

حادث لاوفقير

ولا بد ان الحالة كانت حرجة ودقيقة حتى تستدعي استنفار الجيش وقوى الامن · والحق ان كلمة « الاستنفار » هنا ينبغي أن تؤخذ بكثير من الحيطة ، وبمعنى محدود جدا · فالذي حدث هو ان قوات الدرك الوطني وضعت في حالة تأهب وكثفت بمراقبة الحدود · كما ان رجال الجمارك ، شددوا من تفتيشهم على امتعة القادمين برا وبحرا وجوا ·

خلال هذه الفترة لم يظهر اي شيء ينم عن استنفار الجيش المغربي · بل العكس هو الصحيح · كانت كل الدلائل تشير الى ان الحسن الثاني قرر بعد الصخيرات محاولة التخفيف من وزن الجيش بتخفيض عدده · وكان هذا التخفيض يجري على قدم وساق بينما كانت تتم تقوية الدرك الوطني والشرطة والاستخبارات · وقد بقي الجيش شبه محجوز في ثكناته وتوقفت برامج المناورات ، واغلقت مخازن الاسلحة والذخيرة الحية · ولعل هذا هو السبب في عدم اشتراك اية اسلحة اخرى في المحاولة الانقلابية عدا السلاح الجوي ·

كان الجنرال اوفقير هو المسؤول عن هذه السياسة ·· وكانت خطته تصطدم بمعارضة قوية من طرف الضباط · وقد حدث انه خلال رحلة الحسن الثاني الى جنوب المغرب ، في الربيع الماضي ، سقطت الحوامة (هليكوبتر) العسكرية التي كانت تقل الجنرال اوفقير · وقع الحادث في قرية « أولوز » جنوبي اغادير عندما كانت الحوامة تهم بالاقلاع هبت عاصفة رملية افقدت ملاحها الرؤية فاصطدم بعمود كهربائي وتحطمت طائرته واصيب اوفقير بجروح خطيرة اضطرته للبقاء في المصحة عدة اسابيع · ولم ينشر اي خبر عن هذه الواقعة على علمنا لا في الصحافة العربية ولا الاجنبية · وقد شكت الاستخبارات العسكرية في وجود مؤامرة ضد حياة وزير الدفاع المغربي السابق فاعتقلت الطيار (وهو بالمناسبة احد اقرباء ادريس بنعمرو وزير الدفاع الجديد) ، وحققت معه طويلا وتولى البحث في الجانب الفني من الحادث ضباط فرنسيون ، انتهوا الى خلاصة تقول بأن « الحادث كان طبيعيا »·

والان ·· ماذا بعد ؟

والان ، بعد ان فقد الملك ساعده الايمن ، ماذا سيفعل ؟ في كل الاحوال ، لا يبدو أن بامكانه الخروج من المأزق بسهولة · كل المواصفات جربت · بعض المعلقين يرون ان غياب الجنرال اوفقير عن المسرح ، يفتح الطريق امام التفاهم مع الاحزاب السياسية ، لان الضابط الكبير المنتحر او المقتول ، كان عدوا لدودا للسياسيين · ولكن هذا التحليل كان صحيحا لشهور خلت · أما اليوم فانه من المستبعد ، وقد تأكدت قطيعة الجيش مع الملك مرة ثانية بطريقة مدوية ، ان يمد زعماء الاحزاب ايديهم للتعاون ·

حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مشغول باعادة تنظيم نفسه بعد ان سلخ الجناح النقابي من قيادته ، او بعد ان انسلخت هي منه · واعادة التنظيم داخل صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية تجري نحو اليسار · ومن جملة الانتقادات الموجهة الى الجناح المطرود من القيادة نزوعه نحو التفاوض · لذلك فانه حتى اذا كانت هناك رغبة قوية وعميقة لدى هذا الجانب او ذاك من اعضاء القيادة الاتحادية النقابية او السياسية ، فان اعتبارات «حفظ ماء الوجه السياسي » قد تشكل عائقا قويا نحو التفاهم مع الحكم · فأي تقارب من جانب الاتحاد مع الملك سوف يفسره الطرف الاخر بانه انحراف عن الخط الثوري ·

حزب الاستقلال يكاد يكون في عطلة سياسية مستديمة منذ ان سافر الزعيم علال الفاسي المقيم حاليا في فرنسا للعلاج على نفقة الدولة المغربية · ولا شك ان بعض قادته ، وخاصة بعض الوزراء السابقين ، يراودهم الحنين الى كراسي الحكم الوثيرة ، الا ان وجود تيار راديكالي بين شبابه ، قد يلجمهم ، او على الاقل لا بد ان يؤدي دخولهم الى هزة قوية للحزب ·

والحزبان، بعد كل ما جرى، لا بد ان يأخذا بعين الاعتبار دخول الجيش الى ساحة الصراع السياسي ، اي ان حساباتهم للمستقبل القريب والبعيد تتأثر بما يتصورون انها ستخلفه لدى الجيش من انطباعات ، خوفا من ان يأتي يوم يحصل لهم فيه ما حصل لاحزاب سياسية عتيدة في كثير من بلدان العالم الثالث · وهذا ضمنيا هو التحليل نفسه الذي واجه به الحسن الثاني مندوبي الاحزاب في جلسات المفاوضات المتكررة ·

وكان السيد عبد الرحيم بو عبيد ، احد قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية قد ذكر غداة اختطاف المهدي بن بركة (١٩٦٥) في حديث صحافي : « ان جثة المهدي قائمة بيننا وبين النظام » وكان المتهم الرئيسي في العملية هو الجنرال اوفقير · والان ، وقد اصبح هذا الاخير جثة ، فهل ستعتبر الجولة متساوية ، لا غالب فيها ولا مغلوب ؟ جثة مقابل جثة، وتنتهي القصة ؟ ·

كان مثل هذا التحليل يبدو طبيعيا ومعقولا ، لولا ان مسرح السياسة المغربية اصبح مزدحما ان لم نقل مكتظا بالجثث والجماجم · ويخشى ان يكون المغرب مدعوا الى تكديس المزيد من الجثث في طريق تحرره السياسي والاقتصادي الذي لم يكتمل بعد ·

« باهي محمد » ■